قصة مترجمة من الهندية

قصة: رحلة المشاعر

نشاط بروين *
أ.د. مجيب الرحمن **

أعشق النباتات كثيرًا.

ما إن أفتح عينيّ من النوم صباحاً، حتى تتجه نظراتي نحو شرفة المنزل الطويلة التي تحتضن أصص النباتات. بعد أن أودّع أطفالي إلى مدارسهم، أستسلم للحظة سعادةٍ خالصة أعيشها مع نباتاتي. إذا ما لمحت زهرةً جديدة تتفتح في أحد الأصص، يغمرني فرحٌ عارم، كأنّ تلك الزهرة نبتت لأجلي، لترسم ابتسامةً على وجهي وتزيّن يومي بلمستٍ ساحرة من البهجة والسعادة.

في صباح الرابع عشر من فبراير عام ٢٠١٥، خرجت كعادتي لألقي نظرة على نباتاتي. كانت الشرفة تعجّ بالأزهار المتفتحة في الأصص، تغمرها الحياة وتفيض بالنضارة. وفي زاويةٍ منها، لفت انتباهي أصيصٌ خالٍ من النباتات. اقتربت منه، فإذا بحمامةٍ رقيقة وضعت بيضها. غمرني شعورٌ بالبهجة، كأنّ شرفة منزلي صارت مفعمةً بالحياة والدفء. التقطت صوراً عدة للحمامة والبيض، وشاركتها مع عائلتي عبر واتساب. أخبرتني أمي أن البيض سيفقس بعد واحد وعشرين أو إثنين وعشرين يومًا.

منذ تلك اللحظة، بدأت أنا وابنتي ننتظر كل يوم بترقب شديد. الباب الخلفي لغرفة نومنا يفتح مباشرةً على تلك الزاوية التي ترقد فيها الحمامة، فتوقفنا عن فتحه كي لا نزعجها. كنا نراقبها بحذرٍ من خلف زجاج الباب، نلتقط الصور أحيانًا، ونتساءل بفضول: متى سيخرج الصغار؟

وفي الأول من مارس، هطلت الأمطار فجأة بغزارةٍ مخيفة. ساورني القلق على البيض، خشيت أن يغرق في الماء فلا يفقس. فكرت في أن أضع شيئا في الأصيص لحماية البيض، لكنني تذكرت قصة "الصديق الأحمق" التي قرأتها في طفولتي، حيث تُهجر الطيور بيضها إذا لامسته يدُ إنسان. هذا الخوف منعني من التدخل، ولكن أفكاري أخذت تدور حول الحمامة وبيضها.

---

* 561- C, Paschimabad, JNU
** أستاذ بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو – نيودلهي

في صباح اليوم التالي، استيقظت متأخرة قليلًا، فأسرعت إلى تحضير الطعام وتوديع أطفالي للمدرسة. هذه عادتي اليومية: إن لم أخرج إلى الشرفة لألوّح لأطفالي مع زوجي، أشعر أن نظرات الطفلين تفتقدني، ويغمرني القلق إلى حين عودتهما من المدرسة. نحن نسكن في الطابق الثاني من العمارة ذات سبعة طوابق، وتفتح الشرفة الطويلة بجهة الشرق، وبعد أن لوّحتُ إلى الطفلين الذاهبين للمدرسة، تذكرت الحمامة فجأة. كان المطر قد توقف، لكن الأصيص امتلأ بالماء، ورأيت الحمامة تنشر جناحيها في محاولةٍ يائسة لحماية بيضها. تملّكني الأسى، وخُيّل إليّ أن البيض قد فسد وأن الأمل في رؤية الفراخ قد خبا.

لكن، وفي لحظةٍ غير متوقعة، لمحت حماماً يحطّ على الأصيص حاملاً أعواداً في منقاره. بدأ يضع الأعواد واحداً تلو الآخر على حافة الأصيص، بينما الأنثى ترتبها بدقةٍ لبناء عشٍ جديد. استمر هذا المشهد طوال المساء. ظللتُ مشغولة بأعمال المنزل، لكن أذهلني هذا التعاون الجميل بين الحمامة ورفيقها في الحياة. وفي غضون ساعاتٍ قليلة، اكتمل عشٌ أنيق، بدا كأنه صُمم بعناية قبل أن يُوضع البيض فيه.

في تلك اللحظة، خطرت لي فكرةٌ جعلتني أتأمل فيها بعمق: كثيراً ما نتحدث عن الأمومة، وعن ارتباط الأم بأطفالها وتضحياتها لأجل أطفالها، لكننا نادراً ما نعير أهمية لدور الأب كشريكٍ كامل في هذه الرحلة، منذ اللحظة الأولى لميلاد الطفل وحتى جميع مراحل النمو. الفرق الوحيد هو أنّ الأب قد لا يُعبّر عن مشاعره بالكلمات. وأنا أرى الحمام الذكر يجتهد في بناء العش، تساءلت: كيف عرف أن أنثاه تحتاجه الآن؟ كيف جاء حاملًا الأعواد دون أن تترك هي بيضها لحظةً واحدة؟

عاد الأمل يدبّ في قلبي بأن الفراخ ستظهر من البيض. مرّت الأيام، وكنت أودّع أطفالي كل صباح من الشرفة، وذات يوم لاحظت أن الحمامة لم تعد ترقد على البيض، بل صارت تجلس إلى جانبه، ومعه الذكر، يصدران أصواتًا غريبة. شعرت بشيءٍ غريب، فهرعت إلى التقويم: لقد انقضى اثنان وعشرون يومًا تماما. لاحظت أن لون البيض قد تحول إلى الأزرق قليلا. ظلّ الحمامان يحومان حول البيض قليلًا، ثم طارا معًا واختفيا.

أصبت بحزن شديد وبدأت أفكر: ماذا سيحصل لهذا البيض؟ وفجأة، حطّ غرابٌ واختطف بيضة، ثم اختفت الأخرى بعد قليل. لم يفقس البيض، ولم تطلّ علينا الفراخ، لكن ما شهدته من مشاعر

متدفقة وصورٍ حية للطبيعة زادني إيمانا بأن هذا الكون قد خلقه ربٌّ عظيم ويدبّر أمره بحكمة بالغة، إنه ينثر أثر رحمته وحكمته في كل كائن، ويزرع في كل حيٍّ لمسةً من محبته ورأفته.

..... ❖❖❖❖❖ .....